الأئمة الاثنا عشر

دراسة موجزة عن شخصيتهم وحياتهم عليهم السلام

الأئمة الاثنا عشر

الفقيه المحقق
الشيخ جعفر السبحاني
مدظله

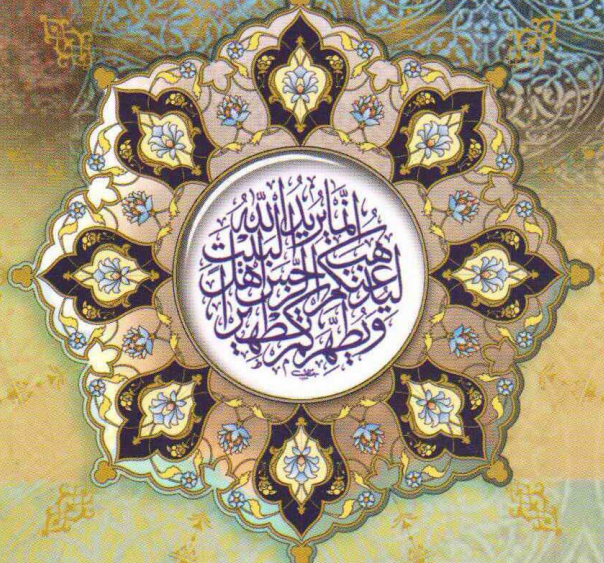

دار الأضواء

حقوق الطبع محفوظة للناشر
٢٠١٥م / ١٤٣٦ هـ

دار جواد الأئمة (ع) للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - حارة حريك - شارع دكاش - بناية شحرور
ت: 73 73 13 / 03 - 12 29 69 70 00961

بسم الله الرحمن الرحيم

تعرف الشيعة الإمامية بالفرقة الاثني عشرية، ومبعث هذه التسمية هو اعتقادهم باثني عشر إماماً من بني هاشم نصّ عليهم رسول الله ﷺ، كما هو معلوم للجميع، ومن ثمّ نصّ كل إمام على الإمام الذي بعده، بشكل يخلو من الشك والابهام.

لقد تضافر عن رسول الله ﷺ أنّه يملك هذه الأُمّة اثنا عشر خليفة كعدد نقباء بني إسرائيل. وكما هو معلوم ومبسّط في كتب الشيعة بشكل لا يقبل الشك. إنّ هذه الروايات مع ما فيها من المواصفات لا تنطبق إلاّ على أئمّة الشيعة والعترة الطاهرة «وإذا كان رسول الله ﷺ هو الشجرة وهم أغصانها، والدوحة وهم أفنانها، ومنبع العلم وهم عيبته، ومعدن الحكم وهم خزائنه، وشارع الدين وهم حفظته، وصاحب الكتاب وهم حملته» [1] فتلزم علينا معرفتهم، كيف وهم أحد الثقلين اللَّذَين تركهما الرسول ﷺ، قدوة للأُمّة ونوراً على جبين الدهر.

ونحن نحاول هنا أن نعرض في هذا الفصل موجزاً عن أحوالهم وحياتهم متوخّين الاختصار والايجاز في ما نورده، لأنّ بسط الكلام عنهم يحتاج إلى تدوين موسوعة كبيرة، وقد قام بذلك لفيف من علماء الإسلام فأثبتوا الشيء الكثير عن حياتهم وسيرتهم وأقوالهم، جزاهم الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

١ـ اقتباس ممّا ذكره أمين الإسلام الطبرسي في مقدمة كتابه إعلام الورى بأعلام الهدى ٣.

الإمام الثاني عشر:

الإمام المهدي ابن الحسن بن علي

ـ عليهم السلام ـ

المنتظر

هو أبو القاسم محمّد بن الحسن العسكري الحجّة، الخلف الصالح، ولد ـ عليه السلام ـ بسرّ من رأى ليلة النصف من شعبان، سنة خمس وخمسين ومائتين، وله من العمر عند وفاة أبيه خمس سنين، آتاه الله الحكم صبيّا كما حدث ليحيى، حيث قال سبحانه: ﴿يا يَحْيىٰ خُذِ الكِتابَ بِقُوَّةٍ وآتَيْناهُ الحُكْمَ صَبيّا﴾ [1]، وجعله إماماً وهو طفل، كما جعل المسيح نبيّاً وهو رضيع قال سبحانه عن لسانه وهو يخاطب قومه: ﴿إنّي عَبْدُ اللهِ آتانِيَ الكِتابَ وَجَعَلَني نَبيّا﴾ [2].

١ـ مريم/ ١٢.

٢ـ مريم/ ٣٠.

اتّفق المسلمون على ظهور المهدي في آخر الزمان لإزالة الجهل والظلم، والجور، ونشر أعلام العدل وإعلاء كلمة الحق، وإظهار الدين كلّه ولو كره المشركون، فهو بإذن الله ينجي العالم من ذلّ العبودية لغير الله، ويلغي الأخلاق والعادات الذميمة، ويبطل القوانين الكافرة التي سنّتها الأهواء، ويقطع أُواصر التعصّبات القومية والعنصرية، ويمحي أسباب العداء والبغضاء التي صارت سبباً لاختلاف الأُمّة وافتراق الكلمة، ويحقّق الله سبحانه بظهوره وعده الذي وعد به المؤمنين بقوله:

١ـ ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَيَستَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كما اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ﴾ (١).

٢ـ ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوارِثِينَ﴾ (٢).

٣ـ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُونَ﴾ (٣).

وتشهد الأُمّة بعد ظهوره ـ عليه السلام ـ عصراً ذهبياً لا يبقى فيه على الأرض بيت إلاّ ودخلته كلمة الإسلام، ولا تبقى قرية إلاّ وينادى فيها بشهادة «لا إله إلاّ الله» بكرة وعشيا.

١ـ النور/ ٥٥.

٢ـ القصص/ ٥.

٣ـ الأنبياء/ ١٠٥.

أقول: لقد تواترت النصوص الصحيحة والأخبار المروية من طريق أهل السنّة والشيعة المؤكّدة على إمامة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ، والمشيرة صراحة إلى أنّ عددهم كعدد نقباء بني إسرائيل، وأنّ آخر هؤلاء الأئمّة هو الذي يملأ الأرض ـ في عهده ـ عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وأنّ أحاديث الإمام الثاني عشر الموسوم بالمهدي المنتظر قد رواها جملة من محدثي السنَّة في صحاحهم المختلفة كأمثال الترمذي (المتوفّى عام ٢٩٧ هـ)، وأبي داود (المتوفّى عام ٢٧٥ هـ)، وابن ماجة (المتوفّى عام ٢٧٥ هـ) وغيرهم، حيث أسندوا رواياتهم هذه إلى جملة من أهل بيت رسول الله ﷺ وصحابته، أمثال علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وأُمّ سلمة زوجة الرسول الأكرم ﷺ، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة وغيرهم:

١ـ روى الإمام أحمد في مسنده عن رسول الله ﷺ : «لو لم يبق من الدهر إلاّ يوم واحد لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً»[١].

٢ـ أخرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود: أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»[٢].

٣ـ أخرج أبو داود عن أُمّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله

١ـ مسند أحمد ١/ ٩٩، ٣/ ١٧ـ٧٠.

٢ـ جامع الأُصول ١١/ ٤٨ برقم ٧٨١٠.

ﷺ يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة» [١].

٤ـ أخرج الترمذي عن ابن مسعود: أنّ رسول الله ﷺ قال: «يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي» [٢].

إلى غير ذلك من الروايات المتضافرة التي بلغت أعلى مراتب التواتر على وجه. يقول الدكتور عبد الباقي: إنّ المشكلة ليست مشكلة حديث أو حديثين أو راو أو راويين، إنّها مجموعة من الأحاديث والآثار تبلغ الثمانين تقريباً، اجتمع على تناقلها مئات الروات وأكثر من صاحب كتاب صحيح [٣].

هذا هو المهدي الذي اتّفق المحدّثون والمتكلّمون عليه، وإنّما الاختلاف بين الشيعة والسنّة في ولادته، فالشيعة ذهبت إلى أنّ المهدي الموعود هو الإمام الثاني عشر الذي ولد بسامراء عام ٢٥٥ هـ واختفى بعد وفاة أبيه عام ٢٦٠ هـ، وقد تضافرت عليه النصوص من آبائه، على وجه ما ترك شكّاً ولا شبهة [٤] ووافقتهم جماعة من علماء أهل السنّة، وقالوا بأنّه ولد وأنّه محمّد بن الحسن العسكري.

نعم كثير منهم قالوا: بأنّه سيولد في آخر الزمان، وبما أنّ أهل البيت

١ـ جامع الأُصول ١١/ ٤٨ برقم ٧٨١٢.

٢ـ المصدر نفسه برقم ٧٨١٠.

٣ـ الدكتور عبد الباقي: بين يدي الساعة ١٢٣.

٤ـ اقرأ هذه النصوص في كتاب «كمال الدين» للشيخ الصدوق ٣٠٦ ـ ٣٨١هـ ترى فيه النصوص المتضافرة على أنّ المهدي الموعود هو ولد الإمام أبو محمّد الحسن العسكري وأنّ له غَيبة.

أدرى بما في البيت، فمن رجع إلى روايات أئمّة أهل البيت في كتبهم يظهر له الحق، وأنّ المولود للإمام العسكري هو المهدي الموعود.

وممّن وافق من علماء أهل السنّة بأنّ وليد بيت الحسن العسكري هو المهدي الموعود:

١ـ كمال الدين محمّد بن طلحة بن محمّد القرشي الشافعي في كتا «مطالب السؤول في مناقب آل الرسول». وقد أثنى عليه من ترجم له مثل اليافعي في «مرآة الجنان» في حوادث سنة ٦٥٠ هـ.

قال ــ بعد سرد اسمه ونسبه ــ: «المهدي الحجّة، الخلف الصالح المنتظر، فأمّا مولده فبسر من رأى، وأمّا نسبه أباً فأبوه الحسن الخالص» ثمّ أورد عدّة أخبار واردة في المهدي من طريق أبي داود، والترمذي ومسلم، والبخاري وغيرهم، ثمّ ذكر بعض الاعتراضات بالنسبة إلى أحواله ـ عليه السلام ـ من حيث الغيبة وطول العمر وغير ذلك، وأجاب عنها جميعاً، ثمّ قال رادّاً عل تأويل البعض لهذهِ الروايات بأنّها لا تدلّ على أنّه محمّد بن الحسن العسكري قائلاً: بأنّ الرسول لما وصفه وذكر اسمه ونسبه وجدنا تلك الصفات والعلامات موجودة في محمّد بن الحسن العسكري علمنا إنّه هو المهدي.

٢ــ أبو عبد الله محمّد بن يوسف بن محمّد الكنجي الشافعي في كتابيه: «البيان في أخبار صاحب الزمان» و «كفاية الطالب في مناقب علي ابن أبي طالب».

٣ـ نور الدين علي بن محمّد بن الصباغ المالكي في كتابه: «الفصول

المهمّة في معرفة الأئمّة».

٤ـ الفقيه الواعظ شمس الدين المعروف بسبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص».

إلى غير ذلك من علماء وحفّاظ ذكر أسماءهم وكلماتهم السيد الأمين في أعيان الشيعة وأنهاها إلى ثلاثة عشر، ثمّ قال: والقائلون بوجود المهدي من علماء أهل السنّة كثيرون، وفيما ذكرناه منهم كفاية، ومن أراد الاستقصاء فليرجع إلى كتابنا «البرهان على وجود صاحب الزمان» ورسالة «كشف الأستار» للشيخ حسين النوري [1].

وقد كان الاعتقاد بظهور المهدي في عصر الأئمّة الهداة أمراً مسلّماً، حتى أنّ دعبل الخزاعي ذكره في قصيدته التي أنشدها لعلي بن موسى الرضا ـ عليه السلام ـ فقال:

خروج إمام لا محالة قائم ... يقوم على اسم الله والبركات

يميز فينا كل حق وباطل ... ويجزي على النعماء والنقمات

ولمّا وصل دعبل إلى هذين البيتين بكى الرضا ـ عليه السلام ـ بكاءً شديداً ثمّ رفع رأسه، فقال له: «يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري من هذا الإمام ومتى يقوم»؟ فقلت: لا يا مولاي، إلاّ أنّي سمعت بخروج إمام منكم يطهّر الأرض من الفساد، ويملأها عدلاً كما ملئت جوراً.

١ـ أعيان الشيعة ٢/ ٦٤ـ ٧٥.

فقال: «يا دعبل، الإمام بعدي محمّد ابني (الجواد) وبعد محمّد ابنه علي (الهادي)، وبعد علي ابنه الحسن (العسكري)، وبعد الحسن ابنه الحجّة القائم، المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً، وأمّا متى؟ فإخبار عن الوقت، فقد حدّثني أبي عن أبيه عن آبائه عن علي ـ عليه السلام ـ: إنّ النبي ﷺ قيل له: يا رسول الله متى يخرج القائم من ذريتك؟ فقال: مثله مثل الساعة لا يجليها لوقتها إلاّ هو، ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلاّ بغتة [1].

ثمّ إنّ للمهدي ـ عجّل الله تعالى فرجه ـ غيبتين صغرى وكبرى، كما جاءت بذلك الأخبار عن أئمّة أهل البيت، أمّا الغيبة الصغرى فمن ابتداء إمامته إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته بوفاة السفراء وعدم نصب غيرهم، وقد مات السفير الأخير علي بن محمّد السمري عام ٣٢٩ هـ، ففي هذه الفترة كان السفراء يرونه وربّما رآه غيرهم ويصلون إلى خدمته وتخرج على أيديهم توقيعات منه إلى شيعته في أُمور شتّى.

وأمّا الغيبة الكبرى فهي بعد الأُولى إلى أن يقوم بإذن الله تعالى.

وأمّا من رأى الحجّة في زمان أبيه وفي الغيبة الصغرى وحتى في الكبرى، فحدّث عنه ولا حرج، وقد أُلّفت في ذلك كتب أحسنها وأجملها: «كمال الدين» للصدوق، و «الغيبة» للشيخ الطوسي.

فنذكر هنا بعض من رآه في صباه:

١ـ الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة ٢/ ٣٧٢.

في من رأى المهدي في بيت الإمام العسكري:

إنّ هناك لفيفاً من أصحاب الإمام العسكري رأوا الإمام المهدي في أيام صباه، ووالده بعد حي. وها نحن نذكر من الكثير شيئاً قليلاً حتى لا يرتاب المنصف في ولادته:

١ـ روى يعقوب بن منقوش قال: دخلت على أبي محمّد الحسن بن علي ـ عليهما السلام ـ وهو جالس على دكّان في الدار، وعن يمينه بيت عليه ستر مسبل، فقلت له: من صاحب هذا الأمر؟ فقال: ارفع الستر. فرفعته فخرج إلينا غلام خماسي له عشرة أو ثمان أو نحو ذلك، واضح الجبين أبيض الوجه، درّي المقلتين، شثن الكفّين، معطوف الركبتين، في خدّه الأيمن خال، وفي رأسه ذؤابه، فجلس على فخذ أبي محمد ثمّ قال لي: هذا صاحبكم [١].

٢ـ روى إبراهيم بن محمد بن فارس النيسابوري قال: لما همّ الوالي عمر بن عوف بقتلي غلب عليَّ خوف عظيم، فودعت أهلي وتوجهت إلى دار أبي محمّد لأُودّعه، وكنت أردت الهرب، فلمّا دخلت عليه رأيت غلاماً جالساً في جنبه وكان وجهه مضيئاً كالقمر ليلة البدر، فتحيرت من نوره وضيائه وكاد ينسيني ما كنت فيه، فقال: يا إبراهيم لا تهرب فإنّ الله سيكفيك شره، فازداد تحيّري، فقلت لأبي محمّد: يا سيدي يا بن رسول الله ﷺ من هذا وقد أخبرني بما كان في ضميري؟ فقال: هو ابني وخليفتي من بعدي [٢].

١ـ الصدوق: كمال الدين ٢: ٤٠٧ الباب ٣٨ الحديث ٢.

٢ـ الحر العاملي: اثبات الهداة ٣: ٧٠٠، الباب ٣٣، الحديث ١٣٦.

٣ـ روى أحمد بن إسحاق قال: قلت لأبي محمد الحسن العسكري: يا ابن رسول الله فمن الإمام والخليفة بعدك؟ فنهض ـ عليه السلام ـ مسرعاً فدخل البيت ثمّ خرج وعلى عاتقه غلام كأنّ وجهه القمر ليلة البدر، من أبناء ثلاث سنين، فقال: يا أحمد بن إسحاق، لولا كرامتك على الله عزّ وجلّ وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا، إنّه سميّ رسول الله ﷺ وكنيّه، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً [١].

٤ـ روى أبو الحسين الحسن بن وجناء قال: حدثني أبي عن جده أنّه كان في دار الحسن بن علي ـ عليهما السلام ـ فكبستنا الخيل وفيها جعفر بن علي الكذّاب واشتغلوا بالنهب والغارة وكانت همّتي في مولاي القائم ـ عليه السلام ـ، قال: فإذا أنا به ـ عليه السلام ـ قد أقبل وخرج عليهم من الباب وأنا أنظر إليه وهو ـ عليه السلام ـ ابن ست سنين فلم يره أحد حتى غاب [٢].

٥ـ روى عبد الله بن جعفر الحميري قال: سألت أبا عمر عثمان بن سعيد العمري (أحد وكلاء الإمام أيام غيبته) فقلت له: هل أنت رأيت الخلف من بعد أبي محمد ـ عليه السلام ـ؟ فقال: أي والله، ورقبته مثل ذا ـ أومأ بيده ـ فقلت له: فبقيت واحدة؟ فقال لي: هات. قلت: الاسم؟ قال: محرّم عليكم أن تسألوا عن ذلك ... [٣].

٦ـ روت حكيمة بنت الإمام محمد الجواد قالت: بعث إليَّ أبو محمّد الحسن بن علي ـ عليهما السلام ـ فقال: يا عمة اجعلي إفطارك هذه الليلة عندنا،

١ـ الصدوق: كمال الدين ٢: ٣٨٤ الباب ٣٨ الحديث ١.

٢ـ المصدر نفسه: ٢: ٤٧٣ الباب ٤٣ الحديث ٢٥.

٣ـ الكليني ١: ٣٢٩ الحديث ١.

فإنّها ليلة النصف من شعبان، فإنّ الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة، وهو حجّته في أرضه. ثمّ إنّ حكيمة عمة الإمام العسكري تتحدث عن ولادة الإمام المهدي وتقول: فضممته إليَّ فإذا أنا به نظيف متنظف، فصاح بي أبو محمد ـ عليه السلام ـ : هلمّ إليَّ ابني يا عمة، فجئت إليه ... [١].

٧ــ روى كامل بن إبراهيم فقال: دخلت على سيدي أبي محمد ـ عليه السلام ـ ، إذ نظرت إليه على ثياب بيض ناعمة فقلت في نفسي: وليّ الله وحجّته يلبس الناعم من الثياب، ويأمرنا بمواساة اخواننا وينهانا عن لبس مثله، فقال الإمام: يا كامل وحسر عن ذراعيه، فإذا مسح أسود خشن، فقال: هذا لله وهذا لكم، فجاءت الريح، فكشفت طرفه، فإذا أنا بفتى كأنّه فلقة قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها، فقال لي: يا كامل بن إبراهيم. فاقشعررت من ذلك، وأُلهمت أن قلت: لبيك يا سيدي. فقال: جئت إلى وليّ الله وحجّته تريد أن تسأل: لا يدخل الجنة إلاّ من عرف معرفتك، وعرف مقالتك ... إلى أن قال: فنظر إليَّ أبو محمّد وتبسّم وقال: يا كامل بن إبراهيم، ما جلوسك وقد أبانك المهدي والحجّة من بعدي بما كان في نفسك وجئت تسألني عنه. قال: فنهضت وقد أخذت الجواب الذي أسررته في نفسي من الإمام المهدي ولم ألقه بعد ذلك [٢].

هذه نماذج في من رأى الإمام المهدي بعد ولادته، وقبل غيبته ذكرناه ولو أردنا الاستقصاء لطال بنا المقام في المقال.

١ـ الصدوق: كمال الدين ٢: ٤٢٤ الباب ٤٢ الحديث ١.

٢ــ الشيخ الطوسي: الغَيبَة: ١٤٨، كشف الغمة ٣:٢٨٩ عن الخرائج، وغيرهما من المصادر.

أسئلة مهمّة حول المهدي ـ عجّل الله تعالى فرجه ـ:

إنّ القول بأنّ الإمام المهدي لا يزال حياً يرزق منذ ولادته عام ٢٥٥ هجرية إلى الآن، وأنّه غائب سوف يظهر بأمر من الله سبحانه، أثار أسئلة حول حياته وإمامته، نذكر رؤوسها:

١ـ كيف يكون إماماً وهو غائب، وما الفائدة المرتقبة منه في غيبته؟

٢ـ لماذا غاب؟

٣ـ كيف يمكن أن يعيش إنسان هذه المدة الطويلة؟

٤ـ ما هي أشراط وعلائم ظهوره؟

هذه أسئلة أُثيرت حول الإمام المهدي منذ أن غاب، وكلّما طالت غيبته اشتدّ التركيز عليها، وقد قام المحققون من علماء الإمامية بالإجابة عليها في مؤلّفات مستقلة لا مجال لنقل معشار ما جاء فيها، غير أنّ الإحالة لما كانت عن المحذور غير خالية، نبحث عنها على وجه الإجمال، ونحيل من أراد التبسّط إلى المصادر المؤلّفة في هذا المجال.

السؤال الأول:
كيف يكون إماماً وهو غائب؟ وما فائدته؟

إنّ القيادة والهداية والقيام بوظائف الإمامة، هو الغاية من تنصيب الإمام، أو اختياره، وهو يتوقف على كونه ظاهراً بين أبناء الأُمّة، مشاهداً لهم، فكيف يكون إماماً قائداً، وهو غائب عنهم؟!

والجواب: على وجهين نقضاً وحلاً.

أمّا النقض: فإنّ التركيز على هذا السؤال يعرب عن عدم التعرّف على أولياء الله، وأنّهم بين ظاهرٍ قائم بالأُمور ومُخْتَفٍ قائم بها من دون أن يعرفه الناس.

إنّ كتاب الله العزيز يعرّفنا على وجود نوعين من الأئمّة والأولياء والقادة للأُمّة، وليّ غائب مستور، لا يعرفه حتى نبي زمانه، كما يخبر سبحانه عن مصاحب موسى ـ عليه السلام ـ بقوله: ﴿**فَوَجَدا عَبْداً مِن عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِن لَدُنّا عِلْماً * قالَ لَهُ موسى هَلْ أَتَّبِعُكَ على أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً**﴾ الآيات [1].

ووليّ ظاهر باسط اليد، تعرفه الأُمّة وتقتدي به.

فالقرآن إذن يدلّ على أنّ الولي ربّما يكون غائباً، ولكنّه مع ذلك لا يعيش في غفلة عن أُمّته، بل يتصرّف في مصالحها ويرعى شؤونها، من دون أن يعرفه أبناء الأُمّة.

فعلى ضوء الكتاب الكريم، يصحّ لنا أن نقول بأنّ الولي إمّا ولي حاضر مشاهَد، أو غائب محجوب.

وإلى ذلك يشير الإمام علي بن أبي طالب في كلامه لكميل بن زياد النخعيّ، يقول كميل: أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ، فأخرجني إلى الجبّان، فلمّا أصحر، تنفَّس الصعداء، وكان مما

---

١ ـ الكهف/ ٦٥ ـ ٨٢.

قاله: «اللّهمّ بلى، لا تخلو الأرض من قائمٍ لله بحجّةٍ، إمّا ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً لئلاّ تبطل حُجج الله وبيِّناته» [١].

وليست غيبة الإمام المهدي، بِدعاً في تاريخ الأولياء، فهذا موسى بن عمران، قد غاب عن قومه قرابة أربعين يوماً، وكان نبيّاً وليّاً، يقول سبحانه: ﴿وواعَدنا موسى ثلاثينَ لَيلةً وأتممناها بِعَشرٍ فَتمَّ ميقاتُ ربِّهِ أربعينَ لَيلةً *وقالَ مُوسى لأخيهِ هارونَ اخلُفني في قومي وأصلح ولا تتّبعْ سبيلَ المفسدين﴾ [٢].

وهذا يونس كان من أنبياء الله سبحانه، ومع ذلك فقد غاب في الظلمات كما يقول سبحانه: ﴿وذا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنادى في الظُّلُماتِ أن لا إِلـه إلاّ أنت سُبحانكَ إِنّي كُنْتُ من الظَّالمين * فاستجبنا له ونَجَّيْناهُ مِنَ الغَمِّ وكذلك نُنْجي المؤْمنين﴾ [٣].

أولم يكن موسى ويونس نبيَّين من أنبياء الله سبحانه؟ وما فائدة نبي يغيب عن الأبصار، ويعيش بعيداً عن قومه؟

فالجواب في هذا المقام، هو الجواب في الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ، وسيوافيك ما يفيدك من الانتفاع بوجود الإمام الغائب في زمان غيبته في جواب السؤال التالي.

١ـ نهج البلاغة بتعليقات عبده، ج ٤، ص ٣٧ قصار الحكم، الرقم ١٤٧.

٢ـ الأعراف/ ١٤٢.

٣ـ الأنبياء/ ٨٧ ـ ٨٨.

وأمّا الحلّ: فمن وجوه:

الأوّل: إنّ عدم علمنا بفائدة وجوده في زمن غيبته، لا يدلّ على عدم كونه مفيداً في زمن غيبته، فالسائل جَعَلَ عدم العلم، طريقاً إلى العلم بالعدم !! وكم لهذا السؤال من نظائر في التشريع الإسلامي، فيقيم البسطاء عدم العلم بالفائدة، مقام العلم بعدمها، وهذا من أعظم الجهل في تحليل المسائل العلمية، ولا شك أنّ عقول البشر لا تصل إلى كثير من الأُمور المهمّة في عالم التكوين والتشريع، بل لا تفهم مصلحة كثير من سننه، وإن كان فعله سبحانه منزّهاً عن العبث، بعيداً عن اللغو.

وعلى ذلك فيجب علينا التسليم أمام التشريع إذا وصل إلينا بصورة صحيحة كما عرفت من تواتر الروايات على غَيبته.

الثاني: إنّ الغَيبَة لا تلازم عدم التصرف في الأُمور، وعدم الإستفادة من وجوده، فهذا مصاحب موسى كان ولياً، لجأ إليه أكبر أنبياء الله في عصره، فقد خرق السفينة التي يمتلكها المستضعفون ليصونها عن غصب الملك، ولم يَعْلَم أصحاب السفينة بتصرّفه، وإلاّ لصدُّوه عن الخرق، جهلاً منهم بغاية عمله. كما أنّه بنى الجدار، ليصون كنز اليتيمين، فأي مانع حينئذ من أن يكون للإمام الغائب في كلّ يوم وليلة تصرّفاً من هذا النمط من التصرّفات. ويؤيد ذلك ما دلّت عليه الروايات من أنّه يحضر الموسم في أشهر الحج، ويحجّ ويصاحب الناس، ويحضر المجالس، كما دلّت على أنّه يغيث المضطرين، ويعود المرضى، وربّما يتكفّل ـ بنفسه الشريفة ـ قضاء حوائجهم، وإن كان الناس لا يعرفونه.

الثالث: المُسَلّم هو عدم إمكان وصول عموم الناس إليه في غَيبته، وأمّا عدم وصول الخواص إليه، فليس بأمر مسلّم، بل الذي دلّت عليه الروايات خلافه، فالصلحاء من الأُمّة الذين يُستَدَرُّ بهم الغمام، لهم التشرّف بلقائه، والإستفادة من نور وجوده، وبالتالي تستفيد الأُمّة بواسطتهم.

الرابع: لا يجب على الإمام أن يتولّى التصرّف في الأُمور الظاهرية بنفسه، بل له تولية غيره على التصرف في الأُمور كما فعل الإمام المهدي ـ أرواحنا له الفداء ـ في غَيبته. ففي الغيبة الصغرى، كان له وكلاء أربعة، يقومون بحوائج الناس، وكانت الصلة بينه وبين الناس مستمرّة بهم. وفي الغيبة الكبرى نصب الفقهاء والعلماء العدول العالمين بالأحكام، للقضاء وإجراء سياسات، وإقامة الحدود، وجعلهم حجة على الناس، فهم يقومون في عصر الغيبة بصيانة الشرع عن التحريف، وبيان الأحكام، ودفع الشبهات، وبكل ما يتوقّف عليه نظم أُمور الناس [1].

١ـ المراد من الغيبة الصغرى، غيبته ـ صلوات الله عليه ـ منذ وفاة والده عام ٢٦٠ هـ إلى عام ٣٢٩ هـ، وقد كانت الصلة بينه وبين الناس مستمرة بواسطة وكلائه الأربعة: الشيخ أبي عمرو عثمان بن سعيد العمري، وولده الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان، والشيخ أبي القاسم الحسين بن روح من بني نوبخت، والشيخ أبي الحسن علي بن محمد السَّمري.

والمراد من الغيبة الكبرى: غيبته من تلك السنة إلى زماننا هذا، انقطعت فيها النيابة الخاصّة عن طريق أشخاص معينين، وحلّ محلّها النيابة العامّة بواسطة الفقهاء والعلماء العدول، كما جاء في توقيعه الشريف: «وأمّا الحوادث العامّة، فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة الله عليهم» (كمال الدين، الباب ٤٥، ص ٤٨٤).

وإلى هذه الأجوبة أشار الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ في آخر توقيع له إلى بعض نوّابه، بقوله: «وأمّا وجهُ الإنتفاع بي في غَيبتي، فكالإنتفاع بالشَّمسِ إذا غيّبَها عن الأبصار، السحاب»[1].

السؤال الثاني:

لماذا غاب المهدي ـ عليه السلام ـ ؟

إنّ ظهور الإمام بين الناس، يترتّب عليه من الفائدة ما لا يترتب عليه في زمن الغيبة، فلماذا غاب عن الناس، حتى حرموا من الإستفادة من وجوده، وما هي المصلحة التي أخفته عن أعين الناس؟

الجواب:

إنّ هذا السؤال يجاب عليه بالنقض والحل:

أمّا النقض: فبما ذكرناه في الإجابة عن السؤال الأوّل، فإنّ قصور عقولنا عن إدراك أساب غيبته، لا يجرّنا إلى إنكار المتضافرات من الروايات، فالاعتراف بقصور أفهامنا أولى من ردّ الروايات المتواترة، بل هو

١ـ الصدوق: كمال الدين، الباب٤٥، ص ٤٨٥ الحديث ٤. وقد ذكر العلاّمة المجلسي في وجه تشبيهه بالشمس إذا سترها السحاب، وجوهاً، راجعها في بحار الأنوار ج٥٢ الباب ٢٠ ص ٩٣ـ ٩٤.

المتعيّـن.

وأمّا الحلّ: فإنّ أسبـاب غيبته، واضحة لمن أمعن فيما ورد حـولها من الروايات، فإنّ الإمام المهدي ـعليه السلامـ هو آخر الأئمّـة الاثني عشر الذين وعـد بهم الرسـول، وأنـاط عـزّة الإسلام بهم، ومـن المعلـوم أنّ الحكومـات الإسلاميـة لم تُقدِّرْهُم، بل كانـت لهم بالمرصاد، تلقيهم في السجـون، وتريق دماءهم الطـاهرة، بالسيـف أو السمّ، فلو كان ظـاهراً، لأقدمـوا على قتله، إطفـاءً لنـوره، فلأجـل ذلك اقتضـت المصلحة أن يكـن مستـوراً عن أعين الناس، يـراهم ويرونـه ولكن لا يعرفـونه، إلى أن تقتضي مشيئة الله سبحـانه ظهوره، بعد حصـول استعدادٍ خاص في العالم لقبولـه، والإنضواء تحت لواء طاعتـه، حتى يحقّق الله تعالى به مـا وعد به الأُمم جمعاء مـن توريث الأرض للمستضعفين.

وقد ورد في بعض الـروايات إشارة إلى هذه النكتـة، روى زرارة قال: سمعت أبا جعفر (الباقر ـعليه السلامـ) يقول: إنّ للقـائم غَيبة قبـل أن يقوم، قال: قلت: ولِـمَ؟ قال: يخاف. قال زرارة: يعني القتل.

وفي رواية أُخرى: يخاف على نفسه الذبح [1].

وسيوافيك ما يفيدك عند الكلام عن علائم ظهوره.

١ـ لاحظ كمال الدين، الباب ٤٤، ص ٢٨١ الحديث ٨و ٩و ١٠.

السؤال الثالث:

الإمام المهدي وطول عمره:

إنّ من الأسئلة المطروحة حول الإمام المهدي، طول عمره في فترة غَيبته، فإنّه ولد عام ٢٥٥هـ فيكون عمره إلى الأعصار الحاضرة أكثر من ألف ومائة وخمسين عاماً، فهل يمكن في منطق العلم أن يعيش إنساناً هذا العمر الطويل؟

والجواب:

من وجهين، نقضاً وحلاّ.

أمّا النقض: فقد دلّ الذكر الحكيم على أنّ شيخ الأنبياء عاش قرابة ألف سنة، قال تعالى: ﴿فَلَبِثَ فيهم أَلْفَ سَنَةٍ إلاَّ خَمْسينَ عاماً﴾ [١].

وقد تضمّنت التوراة أسماء جماعة كثيرة من المعمّرين، وذكرت أحوالهم في سِفْر التكوين [٢].

وقد قام المسلمون بتأليف كتب حول المعمّرين، ككتاب «المعمّرين» لأبي حاتم السجستاني، كما ذكر الصدوق أسماء عدّة منهم في كتاب «كمال الدين» [٣]، والعلاّمة الكراجكي في رسالته الخاصّة، باسم «البرهان على

١ـ العنكبوت/ ١٤.

٢ـ التوراة، سفر التكوين، الإصحاح الخامس، الجملة ٥، وذكر هناك أعمار آدم، وشيث ونوح، وغيرهم.

٣ـ كمال الدين، ص ٥٥٥.

صحة طول عمر الإمام صاحب الزمان»[١]، والعلاّمة المجلسي في البحار[٢]، وغيرهم.

وأمّا الحلّ: فإنّ السؤال عن إمكان طول العُمر، يعرب عن عدم التعرّف على سعة قدرة الله سبحانه: ﴿وَما قَدَروا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[٣]، فإنّه إذا كانت حياته وغيبته وسائر شؤونه، برعاية الله سبحانه، فأي مشكلة في أن يمدّ الله سبحانه في عمره ما شاء، ويدفع عنه عوادي المرض ويرزقه عيش الهناء.

وبعبارة أُخرى: إنّ الحياة الطويلة إمّا ممكنة في حد ذاتها أو ممتنعة، والثاني لم يقل به أحد، فتعيّن الأوّل، فلا مانع من أن يقوم سبحانه بمدّ عمر وليّه، لتحقيق غرض من أغراض التشريع.

أضف إلى ذلك ما ثبت في علم الحياة، من إمكان طول عمر الانسان إذا كان مراعياً لقواعد حفظ الصحة، وأنّ موت الانسان في فترة متدنية، ليس لقصور الإقتضاء، بل لعوارض تمنع عن استمرار الحياة، ولو أمكن تحصين الانسان منها بالأدوية والمعالجات الخاصة لطال عمره ما شاء.

١ـ الكراجكي: البرهان على طول عمر صاحب الزمان، ملحق بـ «كنز الفوائد»، له أيضاً، الجزء الثاني. لاحظ في ذكر المعمرين ص ١١٤ــ ١٥٥، ط دار الأضواء، بيروت ١٤٠٥هـ.

٢ـ بحار الأنوار ج٥١، الباب ١٤، ص ٢٢٥ـ ٢٩٣.

٣ـ الأنعام/ ٩١.

وهناك كلمات ضافية من مَهَرة علم الطب في إمكان إطالة العمر، وتمديد حياة البشر، نشرت في الكتب والمجلات العلمية المختلفة [١].

وبالجملة، اتّفقت كلمة الأطباء على أنّ رعاية أُصول حفظ الصحّة، توجب طول العمر،فكلّما كثرت العناية برعاية تلك الأُصول، طال العمر، ولأجل ذلك نرى أنّ الوفيات في هذا الزمان، في بعض الممالك، أقلّ من السابق، والمعمّرين فيها أكثر من ذي قبل، وما هو إلاّ لرعاية أُصول الصحّة، ومن هنا أُسّست شركات تضمن حياة الإنسان إلى أمد معلوم تحت مقرّرات خاصة وحدود معيّنة، جارية على قوانين حفظ الصحّة، فلو فرض في حياة شخص إجتماع موجبات الصحّة من كلّ وجه، طال عمره إلى ما شاء الله.

وإذا قرأت ما تُدَوِّنه أقلام الأطباء في هذا المجال، يتّضح لك معنى قوله سبحانه: ﴿فَلَوْلا أنّه كانَ مِنَ المُسَبِّحينَ * لَلَبِثَ في بَطْنِهِ إلىٰ يَومِ يُبْعَثونَ﴾ [٢].

فإذا كان عيش الانسان في بطون الحيتان، في أعماق المحيطات، ممكناً إلى يوم البعث، فكيف لا يعيش إنسان، على اليابسة، في أجواء طبيعية، تحت رعاية الله وعنايته، إلى ما شاء الله؟

١ـ لاحظ مجلة المقتطف، الجزء الثالث من السنة التاسعة والخمسين.

٢ـ الصافات/ ١٤٣و ١٤٤.

السؤال الرابع:

علائم ظهوره ـ عليه السلام ـ، ماهي؟

إذا كان للإمام الغائب، ظهوراً بعد غيبة طويلة، فلابدّ من أن يكون لظهوره علائم وأشراط تخبر عن ظهوره، فما هي هذه العلائم؟

الجواب:

إنّ ما جاء في كتب الأحاديث من الحوادث والفتن الواقعة في آخر الزمان على قسمين:

قسم هو من أشراط الساعة وعلامات دنو القيامة.

وقسم هو ما يقع قبل ظهور المهدي المنتظر.

وربّما وقع الخلط بينهما في الكتب، ونحن نذكر القسم الثاني منهما، وهو عبارة عن أُمور عدّة، منها:

١ـ النداء في السماء.

٢ـ الخسوف والكسوف في غير مواقعهما.

٣ـ الشقاق والنفاق في المجتمع.

٤ـ ذيوع الجور والظلم والهرج والمرج في الأُمّة.

٥ـ ابتلاء الإنسان بالموت الأحمر والأبيض.

٦ـ قتل النفس الزكية.

٧ـ خروج الدجّال.

٨ـ خروج السفياني.

وغير ذلك مما جاء في الأحاديث الإسلامية [١].

هذه هي علامات ظهوره، ولكن هناك أُموراً تمهّد لظهوره، وتسهّل تحقيق أهدافه نشير إلى أبرزها:

١ـ الاستعداد العالمي: والمراد منه أنّ المجتمع الانساني ــ وبسبب شيوع الفساد ـ يصل إلى حدّ، يقنط معه من تحقّق الإصلاح بيد البشر، وعن طريق المنظمات العالمية التي تحمل عناوين مختلفة، وأنّ ضغط الظلم والجور على الإنسان يحمله على أن يُذعن ويُقرّ بأنّ الإصلاح لا يتحقّق إلاّ بظهور إعجاز إلٰهي، وحضور قوّة غيبية، تدمّر كلّ تلك التكتلات البشرية الفاسدة، التي قَيَّدَتْ بأسلاكها أعناق البشر.

٢ـ تكامل العقول: إنّ الحكومة العالمية للإمام المهدي ـعليه السلامـ لا تتحقّق بالحروب والنيران والتدمير الشامل للأعداء، وإنّما تتحقّق برغبة الناس إليها، وتأييدهم لها، لتكامل عقولهم ومعرفتهم.

يقول الإمام الباقر ـعليه السلامـ في حديث له يرشد فيه إلى أنّه إذا كان ذلك الظرف، تجتمع عقول البشر وتكتمل أحلامهم: «إذا قام قائمنا، وَضَعَ الله يده على رؤوس العباد، فيجمع بها عقولهم، تكتمل به أحلامهم» [٢].

١ـ لاحظ للوقوف على هذه العلائم، بحار الأنوار ج٥٢، الباب ٢٥، ص١٨١ـ٣٠٨. كتاب المهدي، للسيد صدر الدين الصدر (م ١٣٧٣ هـ). ومنتخب الأثر، ص ٤٢٤ـ٤٦٢.

٢ـ منتخب الأثر، ص٤٨٣.

الإمام الثاني عشر:

المهدي ابن الحسن بن علي -عليهم السلام- المنتظر ١٣٩

في من رأى المهدي في بيت الإمام العسكري ١٤٦
أسئلة مهمة حول المهدي ١٤٩
السؤال الأول: كيف يكون إماماً وهو غائب؟ وما فائدته؟ ١٤٩
السؤال الثاني: لماذا غاب المهدي -عليه السلام- ١٥٤
السؤال الثالث: الإمام المهدي وطول عمره ١٥٦
السؤال الرابع: علائم ظهوره -عليه السلام- ما هي؟ ١٥٩
العوامل الممهّدة لظهوره -عليه السلام- ١٦٠
مصادر الكتاب ١٦٥
فهرس الموضوعات ١٧٢